سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي(54)

ديوان بن فرج السبتي

أبي عبد الله محمد بن علي بن محمّد بن فرج السبتي

(القرن الثامن الهجري)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الشيخ أبي عبد الله محمّد بن فرج، مخمسا الأبيات الإمام الشهير أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله:

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمّد بن فرج، مخمسا الأبيات الإمام الشهير أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رويها وقافيتها سلك ابن الآبار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً:

خبال عرا ما إنَّ جناه سوى النوى

نوى من نوى من كشف بلوى ما نوى

فيا منكر ما قد عراني في الهوى

خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى ... ففي كل يوم يعتريه خبال

سمعت اسمه الأعلى الشريف المشرفا

فخيلتنني يعقوب ذكر يوسفا

ومن شيم الصب المتيم ذي الوفا

متى يدع داعٍ باسم محبوبه هفا ... فيهتاج بلبال ويكسف بال

رعى الله صبا بالهوى نفسه سمت

له آية في الحب بالكتم أحكمت

فما لم ير من آثاره أثراً همت ... له من غروب المقتلين سجال

فيا نفسي الجاني دجاها هلالها

أما أنَّه نور البدور كمالها

ألا فاعذري نفسا تحن خيالها

كحاكي وقد أبصرت نعلا مثالها ... لنعل الرسول الهاشمي مثال

ويا أيها الرائي إلى مفندا

وقد كدت لولا نهي حبي لأسجدا

هوى وجدي إنْ يبل دهر تجددا

" عراني ما يعرو المحب إذا بدا ... لعينيه من مغنى الأحبة آل "

ذكرت به عصراً مضى ومعاهدا

فنوديت من نفس نداءً مساعدا

وحدت فعاود لثمه تدع واجدا

" فقبلت في ذاك المثال معاودا ... أرى أنَّ ذلي في هواه جلال "

وشبهته صفحا ونفحا حديقةً

مفتحة الأزهار غنا أنيقة

شقتها غواد قد غدون غديقة

" ومثلته نعل الرسول حقيقة ... وإني لأدري أنَّ ذاك محال "

فيا جاهلا داء المحبين والدوا

غويت ولا تدري فلا كان من غوى

أتنكر لثم المثل في حالة النوى

" ومن سنة العشاق أنْ يبعث الهوى ... مثال ويقتاد الغرام خيال "

تساوت معاني الحب في كل مقصد

فمن مقلة عبرى وجفن مسهد

وبرح وتهيام وشوق مجدد

" فلا فرق إلاّ أنَّ حب محمّد ... هدى والهوى فيمن عداه ضلال "

انتهى.

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه، وتقبل بكرمه ورحمته منه؛ قطع على حروف المعجم، في لزوم؛ وسماها بالقطع المخمسة، في مدح النعال المقدسة.

قال رحمه الله حسبما نقلت من خطه: وآثرت التخميس على التعشير، ليكون أسرع لحفظها، وأبرع للفظها؛ وأيضاً فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر، أهون على الفكر من وجود عشر. هذا وإنْ كان اللسان العربي فصيحاً فسيحاً لا يضيق، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق؛ ليس من شرط المطالعة، أنْ يحفظ الغريب من الكلام كل من طالعه؛ والله سبحانه أسأل أنْ يجعلها من القربات التي تنفع، والوسائل التي تشفع، والتمائم التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع، وصلى الله على الشفيع المشفع؛ وسلم تسليماً، من آفة الانفصال سليما.

قافية الهمزة

أتمثال نعل كان يلبسها الذي ... إذا عدت الأرسال ليس له كفء

أبو القاسم الأسمى الذي وطئ السما ... بأخمصه ليلا فشرفها الوطء

أقبل في طرسٍ حواك كأنني ... عليل وفي تقبيل شكلك لي البرء

أنا المرء بالآثار محض هويته ... قنعت وقد يخطي إذا قنع المرء

أأحمد لا يهوى الفؤاد سواك ما ... تقدم عود الشيء في الرتبة البدء

قافية الباء

بنفسي مثال النعل محمدٍ ... نبي الهدى المخصوص بالقرب والحب

بدا لي فكان البدر جاي بنوره ... غياهب أشجان تاكمن في قلبي

بكت مقلتي شوقاً لالبسها وهل ... بطمئنةٍ نار الأسى دمعه الصبِ

بعثت به شخصاً من الأنس ميتاً ... فبشرني بالقرب منه على قربِ

بموطئها قد شرف الله تربة ... عليها مشت فالتبر يحسد للتربِ

قافية التاء

تلوت وقد أبصر مثلاً لنعل من ... تميز بالوصف الشريف وبالنعتِ

ترفعت من نعلٍ بأخمص مرسلٍ ... قد انقذ من شر الطواغيت والجبتِ

تقدست الأرض التي قد مشى بها ... عليها فصار الفوق يغبط للتحتِ

تمنيت لو إني ظفرت بتربها ... فمرغت فيه الخد للحين والوقتِ

تمنى صبٍ عاشق دنفٍ جوٍ ... معنى كئيبٍ حفظ ذى الستِ

قافية الثاء

ثمار الأماني قد جنى الطرف إذا رأى ... مثال نعال المصطفى من أولى البعثِ

ثراها ومن أعلاه طاب نسيمه ... وما أنا في هذي اليمين بذي حنثِ

ثريا السما ودت لتنقل بالثرى ... إليك فلم تنقل فهاهي في بثِ

ثويت به يا طيب فهو كمسكةٍ يفوق ... شذاها المسك في الطيب والمكثِ

ثوابي يا من شرفت بلباسه ... على مدحها تأمين خوفي في البعثِ

قافية الجيم

جللت أيا نعلاً بأخمص سيدٍ ... إلى حضرة الاقدس العلية عاج

جبلت على حبٍ له فمتى بدا ... من آثاره شيء تنور لواعجي

جنى الأنف منهت زهر روض إذا انبرى ... نسيم شذاه بذلك عرف النوافج

جبرت به صدعاً جناه الهوى وما ... شفيت بغنج الخود ذات الدمالج

جزى الله عني القلب خيراً فانه ... تعلق بالهادي الأهدى المناهج

قافية الحاء

حظيت أيا نعلاً بأخمص مرسلٍ ... قد انزل رب العرش فيه ألم نشرحْ

حللت بساط القدس حين عروجه ... ليوضح في المسرى له اللّه ما أوضحْ

حلفت: لأرض قد وطئت ترابها ... لكالمسك مفضوضاً أما أنَّه أفوحْ

حللت نطاق الكلم لما رايتها ... فصرح من حبي اللسان بما صرحْ

حبيبي الرسول المصطفى ومن اجله ... مدحت لنعليه وحق بأن أمدحْ

قافية الخاء

خذيها أيا نفسي المشوقة كلما ... سرى نفس مني هواي به بذخْ

خميلة شِعرٍ أودعت مدح نعل من ... بشرعته كل الشرائع قد نسخْ

خضبت نصال الشيب لما رأيتها ... بدمع محب عقد كتمانه فسخْ

خطاها أفاد الأرض زهوا فأنفها ... على قمم الشهب المنيفة قد شمخْ

خصصت أيا نعلاً بأجلى مزية ... تبين لمن في العلم أخمصه رسخْ

قافية الدال

دع الطرف يسرح في رياضٍ تزينت ... بمدح نعالِي المصطفى الرسول أحمدا

دعي فمشى فوق السماء فلم يطأ ... بها موضعاً إلاّ وأصبح مسجدا

دنا فتدلى قاب قوسين إذ دنا ... فأوحى الذي أوحى إليه من الهدى

دنوَّ حبيب من حبيبٍ لأجله ... لآدم أملاك السموات أسجدا

درى فضله من في السماء فكلهم ... يرون وجيه المرسلين محمدا

قافية الذال

ذر الأنف يستنشق خمائل روضةٍ ... تبثُّ نسيم المسك أنفاسها بذا

ذكرت به نعلاً لأكرم مرسلٍ ... براه الذي أعلاه في رسله فذا

ذرور ثراها المسك فاق فإن تسل ... عن أذكى من المسك الفتيق شذاً فذا

ذكاء تمنت أنْ تكون سحاءةً ... تعي مدحها أو جلدة مثلها تحذى

ذوو حبه التذوا برؤيتها كما ... بثوب ابن يعقوب أبوه قد التذا

قافية الراء

رأيت مثال النعل الذي به ... إلى حضرة القدس العلية قد أسري

رعى اللّه منها نعل أي كريمة ... برجلٍ علت فخراً على قمة النسرِ

روى أنه نوى وقد رام خلعها ... وماء الحيا في وجنتيه معاً يجري

رسولي لا تخلع تشرف بوطئها ... بساطي يا معنى وجودي يا سري

رفعت لواء المكرمات جميعها ... بيمنى العلا والناس في قبضة الذر

قافية الزاي وهي متجانسة

زفير اشتياقي إذ بدا معتقي ... تخاطبني كتمي وعزمي قد عزا

زكت شفة قد قبلت نعل سيدٍ ... به عالم الإنسان أجمعه عزا

زعيم به هنا السرور لنا وفي ... مصائبنا العظمى المصاب به عزى

زهو سناه ظلمة الشرك قد جلا ... ولولاه كنا نعبد اللات والعزى

زماني لا أنفك لائمها أرى ... هوان هونا يا أخلاءنا عزا

قافية الطاء

طوت بعض ما من وحشةٍ نشر النوى ... نعال خطاها في المكارم لا تخطا

طفقت أنادي حين لاحت لناظري ... وزند الهوى بالسقط قد وصل السقطا

طب انعم تنزه يا فؤادي فهذه ... نعال الذي جاوزت في حبه الفرطا

طبعنا على حبٍ له فمتى يلح ... لنا أثر ننثر من ادمعنا سمطا

طلعنا نجوماً في هواه فأفقنا ... قد اخلد عنه النجم للارض وانحطا

قافية الظاء

ظللت أنادي إذ رأيت نعال من قد أنقذني والحمد لله لظى

ظهرت لنا في شكل بدرٍ فلم نكن ... لبدر الدجى من بعد ذاك لنلحظا

ظمئنا فكنت الماء مقلوب همزةٍ ... نقعت وسيم جيءٍ في إثرها بظا

ظهيري رسول الله أنت لحظتني ... بهذي وفي الأخرى ترى لحن الحظا

ظلالكم من كل سوء حفظتني ... وما كنت لولا الفضل منكم لأحفظا

قافية الكاف

كرمت أيا نعلا لأكرم مرسلٍ ... به وهو وسطى السلك قد ختم السلكُ

كأنك في عيني نافحة خلت ... وأبقى بها للأنف من نفحه المسكُ

كتمت فلما لحت لي باح محجري ... بسر معنى قلبه بالنوى يشكو

كفاني كفاني أنْ بدا أثر لمه ... به من إسار الشرك قلبي مفتكُ

كريم كرام الرسل أحمدها الذي ... بتوحيده الإشراك أودى فلا شركُ

قافية اللام

لمثلك يا نعلا بلابسه نعلو ... ويا طيب قلبي كلما قلت يا نعلُ

لثمت وما أبغيه باللثم لا ولا ... سواه فما قصدي النعال بلا الرجلُ

لها الله من رجلٍ مشت بأجل من ... شأى رسل الله الكرام وأنْ جلوا

لنا قد أتى منا عزيز عليه ما ... عنتنا رؤوف راحم ما له مثلُ

لعمري لولاه لما سحت السما ... ولا دحيت أرض ولا برئ الكلُ

قافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم، إلاّ بعد الفراغ من نظم ما تقدم، وإلاّ فجناب مجده فسيح، ولسان الألكن في مدحه عليه السلام فصيح، وصلى الله على سيدنا محمّد النبي المليح:

مثالك نعل المصطفى هاج لي جوى ... جناه هوى قلبي السعيد به سما

مددت له عيني مشوق به على ... صبابته ألا تحل قد اقسما

مشيت به فوق السماء فكلما ... وطئت سماء فاخرت فوقها سما

موكله قسمي فيها مناسكاً ... فأسمى الذي أدناه ذاك المقسما

محمّد أبكيت الثرى إذ عرجتم ... وعدتم إليه بعد ذا فتبسما

قافية النون

نظرت بعيني هائم القلب مدنفٍ ... شجي أبى إلاّ البكا طرفه خدنا

تعال حبيبٍ مصطفى من حبيبه ... دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى

نبيٍ لجميع الرسل ساد حليً كما ... بمبعثه فينا لجميع الورى سدنا

نجيٍ لرب العرش ناجٍ محبه ... غدا من لظى ذات اللظى وارثاً عدنا

نزعنا إلى التوحيد من ملك شركنا ... ولولاه ما واللّه للّه وحدنا

قافية الصاد

صبرت فلما لاح لي مثل نعل من ... حلاه تعالت أنْ تعد وتستقصى

صببت دموعاً من جفونٍ كأنها ... عزالى سحابٍ نؤيها النأي قد أقصى

صبوت هوى في السيد العلم الذي ... قد اسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى

صميمٌ صميم الجلة القمر الذي ... وقاه الإله المحق والكشف والنقصا

صراطي هواه للجنان وأنَّه ... يقي ووقي جيد اعتصامي به الوقصا

قافية الضاد

ضلوعي لا تهدا ودمعي لا يرقا ... وليس سوى حاليهما منهما أرضى

ضلالي هدى في ذا الهوى عند أهله ... ذوى النظر الأقوى ذوى السنن الأرضى

ضعوا قلبي الشاكي بحيث نعالهم ... فآثارهم تشفي أحبتها المرضى

ضممت نعال المصطفى رجله التي ... بها شرف الله السموات والأرضا

ضعوها كمثلي فوق أرؤسكم فقد ... زكا من رأى تعظيم مقدارها فرضا

قافية العين

علي وجنتي فاضت دموعي فصرحت ... بسر فؤاد بالتكتم أولعا

عشي بدت نعل الحبيب كأنها ... هلال بآفاق القلوب قد اطلعا

عجبت لقلبي أنْ رآها ولم يطر ... ويخرق شغافاً قد حواه وأضلعا

عداه خيال فاستقر ولم يطر ... إليها وشيكاً حين بالأمر طولعا

عسى من أراني نعله أو مثلها ... يرني ضريحاً للمكارم مطلعا

قافية الغين

غليلي لا يطفا وشجوي لا يفنى ... ودمعي لغير الحزن ليس بمنبغي

غسلت به رين الجوى وهو نكتة ... بخدي وقلت اسفك بجيعك واصبغِ

غداة بدت نعل لأكرم مرسلٍ ... رفيع شفيعٍ ذي مكارم سبغِ

غيور شكور راحمٍ متلطفٍ ... كريمٍ منيلٍ واسع السيب مسبغِ

غلامك يا مولاي يبغي شفاعةً ... وذلك أمر ما لغيرك ينبغي

قافية الفاء

فؤادي لا تشكُ البعاد فهذه ... نعالهم فاستشفين بها تشفى

فمن قبلها مثل نعل كريمةٍ ... بتقبيلها يشفي سقام من استشفى

فليت يميني والشمال ومسمعي ... قلبن شفاهاً تحسن اللثم والرشفا

فأصطفي بالتقبيل والرشف جمرةً ... قد أشعلها شوق على الهلك بي أشفى

فأقسم يا نعل الحبيب لأنت من ... شراب بطون النحل للمشتكي أشفى

قافية القاف

قلبي لا تقنط فهذي نعال من ... علقت به من قبل مرتبة العلقْ

قد أبصرتها في أفق كفي كأنها ... هلال منير للعيون قد ائتلقْ

قفا في السنى آثاره القمر الذي ... للابسه كالبردة انشق وانفلقْ

قرأت حذار العين لما رأيته ... بأفق يميني طالعاً سورة الفلق

قست مهجة قد أبصرته وما جرت ... مسابقةً شهب المدامع في طلق

قافية السين

سموت أيا نعل الرسول برجله ... على قمم الشهبان والبدر والشمسِ

سرى ليلة المعراج فوق براقه ... ليسمى أقطار السموات باللمسِ

سماء به فلتفخري بدر سؤدد ... سليم السنى يضحى منيراً ملكا يمسي

سراج به ظلنا الذين تقدموا ... ولا عجب أنْ يفضل اليوم للأمسِ

سلمنا بفضل الله لكننا وهم ... حروف وسمت الإطباق في الحرف كالهمسِ

قافية الشين

شمخت أيا نعلا لأكرم سيدٍ ... رسولٍ على السبع السموات قد مشى

شريفٍ له قد أسجد البدر والتفت ... إليه تجده بالترب منمشا

شغى مبصري القلب والطرف نوره ... وقد منت أعشى القلب والطرف أعمشا

شفاعته نرجو امتداد ظلالها ... إذا ما الرجا فيما سواها تكمشا

شققت جيوب الكتم وجداً وقلت يا ... يدي وهي حبل التصبر فانحشا

قافية الهاء

هي النعل قد كانت سماء ورجله ... هلالاً غما أسنى وأضوأ أفقها

هيا منكراً تقبيلها بعد بدرها ... على دنف ما أنت منه بأفقها

هل القصد إلاّ رجل لابسها الذي ... سيسمعني يوم القيامة خفقها

هلالي وشمسي في دجى الحشر سيدي ... مبلغ نفسي ما يوافق وفقها

همت عبرتي شوقاً له إذ رأيتها ... فما ترجى الأجفان من بعد رقفها

انتهى ما ألفته من هذه القطع ولم أجد تكملة الحروف؛ وقد كمل ما بقي منها على نمطها، صاحبنا الفقيه الأصيل أبو الحسن الشامي، حفظه الله، وسيأتي ذلك قريباً.

وألفيت أيضاً بخط هذا الشيخ محمّد بن الفرج السبتي، رحمه الله عدة قصائد ومقاطع في هذا الغرض، منها قوله رحمه الله:

ولو رأيت مثال نعل محمدٍ ... فاشتد شوقي عند ذاك وهاجا

فظللت أمسح وجنتي بشسعه ... مسحاً وأجله برأسي تاجا

يا نعل أكرم مرسل لما أني ... دخل الورى في دينه أفواجا

كرمت من نعلٍ حوت رجلاً مشت ... بأجل بادٍ في الظلام سرجا

شرفت بوطي نعله السبع العلا ... لما ارتقاها عارجاً ليناجي

ومنها قوله رحمه الله:

نشرت محاجر مقلتي من سلكها ... دراً وشذراً مفرغاً من سلكها

شوقاً لمبعوثٍ أتى فاستبشرت ... مهج الورى بنجاتها من هلكها

عاينت مثل نعاله ومحمّد ... هو خاتم الأرسال وسطى سلكها

فوجدت فيها ريحه ولربما ... فاح النوافج بعد فرقة مسكها

أشرف بها نعلاً عمائم كل ذي ... شرفٍ تقر بأنها من ملكها

فلق وعت قدماً سعت في فلكها ... من راحتي كفرانها أو شركها

جعلت موطئها الملائك عندما ... أسرى به ليلاً مواضع نسكها

يا ليت أعضائي شفاه كلها ... فمتى تقبلها شفاهي تحكها

قد كنت ذا خوفٍ ووحشةٍ أبدا ... رغد الحسرة للفؤاد بضنكها

فكأنها صك أتى عبداً وقد ... تعطى الموالي أمنها في صكها

وهلال أطلع فانجلى من وحشتي ... ما قد تراكم من سحائب حلكها

فأنا العتيق وأنْ تشك النفس في ... عتقي يخط للعين عارض شكها

يا منجي الحوباء من بحر الردى ... ولقد غدا لولاك معصب فلكها

شكوى غريق ذنوبه مهما شكت ... حوباؤه لسواك لم يشكها

ولقد أمرت بتركِ أسباب بها ... تقوى الذنوب فما أخذت بتركها

ولئن هدمت مبانياً مستورةً ... بستور لطف لا سبيل لهلكها

فلقد بنيت من الرجاء مبانياً ... ردت فواتك خيفتي عن فتكها

وجعلت حبك يا محمّد أسها ... علما بأن الأس ممسك سمكها

صلى عليك إلهنا ما طل ان ... فُ ذكرك العطر الشذا مستنكها

ومن ذلك قوله رحمه الله:

أقول وهجراني سيعقبه الوصل ... فعقد الهوى الشرعي ما أنْ له حلُ

غداة رأت عيني مثال نعال من ... بدا فهدى أهل السعادة إذ ضلوا

تمنيت لو أني ظفرت بتربةٍ ... عليها مشت نعل بلابسها نعلو

فأكحل عيناً أرمدت ببعاده ... وليس سوى ذاك التراب لها كحلُ

هو الكحل يجلو ما بعيني من قذى ... وكم كحل أنْ تكحل به العين لا يجلو

فطوباك طوبى ثم طوبى وحق أنْ ... أردد طوبى ثم طوبى أيا نعلُ

فإنك قد أودعت رجلاً علت على ... بساط عُلا لم تعله قبلها رجلُ

فأقسم لو تؤتي العمائم سؤلها ... لما كان غير النعل كان لها سؤلُ

وناهيك من رجل مشت بمحمدٍ ... مفضل رسل الله إنَّ عدت الرسلُ

أبو القاسم الأسمى وطئ السما ... فنودي من فيها ألا خلقه صلوا

ولو لم تطأها رجله كان للثرى ... على الفلك الأعلى بموطئها الفضلُ

فيا مرسلاً ما في النبيين مثله ... رسولاً وهل للشمس من جنسها مثلُ

أثرت ظلام الجهل فالقلب نير ... محا العلم منه أحرفا خطها الجهلُ

فكان كمثل السيف أصبح صادئاً ... وأمسى وقد جلى مضاربه الصقلُ

يلوح به الإيمان شكلا لناظرٍ ... ولولاك لم يطلع به ذلك الشكل

فحق لذي عقل بأن يقطع المدى ... مدى عمره ما دام يصحبه العقل

وما شغله إلاّ امتداح جلالكم ... فنعم الفتى من شغله ذلك الشغل

أمولاي يا مولاي ألفا وبعده ... كذلك ألف ثم ألف له قبل

عديد الحصى والرمل بل عد ما إذا ... بدا فالحصى جزء بدا منه والرمل

فحبكم كهفي الذي مذ حللته ... إذا اشتد بي الكرب على الفور ينحل

وسيفي السريجي الذي مذ سللته ... رأيت خطوب الجهل عني تنسل

ورمحي الرديني الذي مذ شرعته ... صرعت به شكلي فلا نعش الشكل

وقوسي التي مذ سدد الصدق نبلها ... أصابت أسى ما خاب له نبل

فها أنا في ظل من الأمن قاطعٍ ... على الأمن أنَّ يتدلى ذلك الظل

ومن يدري ما أدري من افضالك الذي ... هو الباب والأفضال أجمعه فصل

أو الأصل والإفضال بعض فروعه ... وما يستوي في الرتبة الفرع والأصل

ينم آمنا من جور دهر صروفه ... سواهر واستقضى وليس له عدل

محمّد يا غوثي وغيثي كلما ... تجهمت الأيام أو أجحف المحل

محمّد يا حرزي وعزي كلما ... تفاقمت الأهوال أو طرق الذل

أكرر في أحوالي اسمك أنّه ... كالشهد ما كررته في فمي يحلو

أما أنّه أحلى وأيمن مجتنى ... فكم مجتنٍ للشهد تلسعه النحل

وإنّ كان في الشهد الشفاء لمشتكٍ ... بعلة جسمٍ أصلها الشرب والأكل

فباسمك يشفي كل قلب إذا اشتكى ... إليك بداء جره القول والفعل

وما جسد الإنسان مثل فؤاده ... فمنزل ذا علو ومنزل ذا سفل

فبالفضل يا ذا الفضل والبذل إنّ عدت ... خطوب ولما يلف فضل ولا بذل

أجرى من نار ضريع طعامها ... ومهل وما يغني ضريع ولا مهل

ومن أهلها العاصي أوامر ربه ... وإني لها أو يغفر الله لي أهل

أما إنني أرجو النجاة وإنّ تكن ... ذنوبي حملا لا يطاق لها حمل

فإني قد أعددت أي ذخيرةٍ ... تخفف من ثقل الذنوب فلا ثقل

هواك الذي للمعضلات خبأته ... فمن مهجتي حق ومن غيرتي قفل

ألا هكذا فليخبأ الحب مدنف ... إذا ما سلا أهل المحبة لا يسلو

وإنّ يعتلل وقتا غرام فيختلل ... فما حبه يعتل وقتا فيختل

فكم بين من قد تيم الفضل والعلا ... وبين الذي قد تيم الغنج والدل

لبينهما ما بين وصل وقطعة ... وهيهات ما بالقطع يشتبه الوصل

وإنّ غرست كفهما شجر الهوى ... فمغروس ذا شري ومغروس ذا نخل

فيا قلبي أحلل من هواك بجنةٍ ... بها أحتل قلب حبه ليس يعتل

ونادِ الورى إني احتللت بجنة ... بها كل من يهوى هواي سيحتل

أدير بها كأسا دهاقاً وما سوى ... سروري بمحبوبي مدام ولا نقل

هي الخمر لم يتلف بها عقل شاربٍ ... وتلك حرام في الكتاب وذي حل

ويا فكري الرامي المصيب بنبله ... مقاتل أغراض أراها له النبل

وفي قتلها عند اللبيب حياتها ... ومن أعجب الأشياء أنَّ يحيي القتل

بتأليف شمل المدح في المصطفى اشتغل ... يعنك على تأليفه ذلك الشمل

فذاك محل المدائح قابل ... إذا انحصرت فيه مدائح من قبل

محل يسمى في علاه مقصراً ... أديب وفي الأمداح من طبعه يغلو

محل علا فوق السماء ولم يكن ... لأعلى محل ذلك العلو إنَّ يعلو

فقل للأديب المكثر القول في حلى ... علاه: كثير القول في بحره قل

فضائله بحر وسجل كلامنا ... وليس يغيض البحر دلو ولا سجل

وتالله ما البحر الغطامط مشبها ... فضائله أو يشبه الوابل الطل

ولكنها الأمثال تضرب للورى وليس من المشروط أنَّ يفعل الكل

وقد ضرب الله الأقل لنوره ... فقال كمشكاةٍ وليس له مثل

أخير رسول جاء للخلق هادياً ... وقد درست سبل النجاة فلا سبل

وكلهم نشوان من خمرة الهوى ... فمعبودهم نسر ومدعوهم بعل

فما منهم إلاّ أمير ضلالةٍ ... ففي جيده غل وفي رجله كبل

فدلوا على سبل النجاة بنوره ... جميعا ولولا ذلك النور ما دلوا

فأعقب ذلك النور مدلوله حلى ... ففي جيده عقد وفي رجله حجل

وقفت بباب الجود والكرم الذي ... غمامته وطفا وعارضه وبل

فما كرم يروق عن الجود واهبا ... مواهبه تترى ونائله جزل

وقيس بذا إلاّ وقال أولو النهى ... ألا إنّ ذاك الجود في جنب ذا بخل

ولي حاجة عنت إليك، قضاؤها ... عليك بفضل الله يا سيدي سهل

زيارة أرض طيب الله تربها ... فما المسك مفضوض الختام لها شكل

هي البلدة الغراء طيبة التي ... بها ديم الرحمى مدى الدهر تنهل

فمن حل مثوى أنت فيه مخيم ... ويا طيب أقوام بطيبة قد حلوا

يكن آمنا من كل حزن وخيفة ... ويعظم له جاه ويكرم له نزل

فما داخل عدنا يخاف مثال الردى ... وتشهد آيات الكتاب الذي نتلو

ولا فرق ما بين الجنان وبينها ... لدى من له عقل من الناس أو نقل

وصلى عليك الله ما هبت الصبا ... وما كان للزمن التي أعصرت هطل

ومما له أيضاً رحمه، ملتزما تشبيه النعل المختصة بالشرف والرفعة، وقد أبصرها مرسومة بالحبر في رقعة:

أشفي برؤيتها يا نفسي الدنفه ... نعلا لرجل رسول الله مكتنفه
كأنَّ طرسا به بالحبر قد رسمت ... برد من الحبرات البيض ذو صنفه

ومما له أيضاً نفعه الله بها، ورسم مثال النعل الكريمة إثرها:

يا سائلاً أفتيه إثر سؤاله ... عما يرى إنَّ يشك من إشكاله
تراه سواد القلب والعينين في ... شكل هلال الأفق من أشكاله
أخطأت لست بعائد ولكم مصيب مخطي في البعض من أقواله
فالبدر يكسف في منازل سعده ... ويصيبه النقصان إثر كماله
وكلاهما شين وهذا قد وفي ... من كل شين يدرس جماله
أو ليس تمثال النعال نعال من ... وطئ السموات العلى بنعاله
نعل بلابسها بأت ويحق أنَّ ... تبأى به لجلاله وخلاله
فلقد حوت رجلاً مشت بالصفوة المختار عند الله من أرساله
فالثمه تمثالاً لها لثم أمرئ ... باللثم يروى من صدى بلباله
فلرب مشتاق رأى آثار من ... يشتاقه فشفته من أوجاله
أو ما ترى يعقوب عاد بثوب من ... يهودي سني عينيه بعد زواله
وهوى في مولاي يفضل حب يعقوب على المروى من أحواله
فمحمد هو معتقي من ملك شر ... لم كنت طوع يمينه وشماله
قطعت هدايته حبال ضالتي ... بحسامها الجالي الردى بصقاله

فغدوت معتقلا ورحت مسرحاً ... متمسكا من هديه بحباله

يرتاح في عدن الهدى قلبي ولا ... يخشى الإعادة من جحيم ضلاله

أصل النداء معرفا بعوارفٍ ... بلغ الفؤاد بها مدى آماله

يا قوم إقرار أمري بفضائلٍ ... عظمت على لأحمد والآله

كنت الذليل فمذ تملك مجده ... نفسي بما قد كان من إفضاله

ما زال يسعى في عزازة عبده ... حتى محا بالعز نقطة ذاله

فأنا الدليل لأعبدٍ ذلوا على ... أنَّ يصبحوا مثلي عبيد جلاله

مولاي يا مولاي ألفا مردفا ... بمثاله ومثاله ومثاله

أضعاف أضعاف الذي في البحر من ... نقطٍ: أجاج الماء أو سلساله

أنا عبدك القن الذي أطلقته ... من جهل أوثق مهجتي بعقاله

فبما على لكم من الفضل الذي ... ضعفت قوي شكري عن استقلاله

إلاّ حملت إليَّ الأساة بطيبة ... جسما سكا بفراق قلب واله

وأظنه والظن يصدق هاهنا ... عندي وإني للخبير بحاله

قد حل من فلك العلى المحلى ... شهب تحف بشمسه وهلاله

بلداً يزود المارقين جلاله ... بسيوفه ولدانه ونباله

فكأنه كير نفي خبثا وأبقى من رضي الرحمن باستعماله

أربي على أمثاله ووحقه ... لأفنكت في قولي على أمثاله

فالأرض مثل ذبالة وهو السنى ... منها وكم بين السنى وذباله

هو طيبة الغراء أشرف موطن ... حث النهى شرعا على إجلاله

حرم متى ما حله ذو خيفةٍ ... يأمن به في حاله ومآله

أمر الملائك بالدعاء لأهله ... أهل الفخار نسائه ورجاله

وأرى ثراه من الأجل سناه خر ... الملك للمخلوق من صلصاله

ونجا ابن لأمك في السفين إذا استوى ... ماء الدرى بسهوله وجباله

ونجا ابن آرز من لظى الإشراك إذ ... نال الذي قد نال من تمثاله

وفدى ابن هاجر حين تل وإنَّه ... لمسلم لأبيه في أفعاله

وأحتل إدريس مكاناً في السما ... أسمى منال النجم دون مناله

والمرء يخلق من ثرى القبر الذي ... سيكون منطبقا على أوصاله

هذا حديث صح عنه لدى الألى ... نظموا عقود مقاله وفعاله

ولذلك قال بفضل طيبة مالك ... وهو الإمام المقتدي بمقاله

إذ لا تراب اجل من تراب نشا ... منه حبيب الله من أرساله

فنهاك ينحي الجسم متصلا بمن ... أشجاه وهو القلب يوم فصاله

أسعد بمجتمعين في دار بها ... شخص الذي قنعا بطيف خياله

مولاي إنَّ لم تؤب عبدك سؤله ... ورددت خائبةً يمين سؤاله

لا عتب بل عتبي فما هو صالح ... بك للذي قد ساء من أعماله

لكن سنة سيدي في عبده ... إسعافه ما دام من سؤاله

والصفح عن زلاته ولو أنها ... كالرمل عدا في جميع رماله

ومتى يجد فالغيث إلاّ أنه ... عم الخليقة كلها بنواله

ومتى يجر فالليث إلاّ إنّه ... يضحى الجار لديه من أشباله

فالخائفون المعسرون مؤمنو ... ن وموسرون بجاهه وبماله

هذي خصال من خصال جمة ... ومن الذي يحصي شريف خصاله

صلي عليه إلهنا من مرسل ... وجد الوجود الخير في إرساله

ومما له أيضاً تقبل الله منه، ولا صرف وجه وقايته بمنه وكرمه عنه:

خذه أيا صاح خذ ... تمثال نعل قد حذي

على نعال أحمدٍ ... منجي الأنام المنقذ

السيد المختار من ... قبيلة وفخذ

ذي الطول ذي الفضل الذي ... حلاه لا تحصى بذي

وانظر إليه نظرة ... يجلى بها طرف قذي

وقبلنه دائما ... تقبيل ذي تلذذ

وقل إذا قبلته ... ذي قبل تلذذ

وناده يا سيداً ... بغيره لم ألذ

شكوى محب ما درى ... غير الهوى من مأخذ

رمى بنبل للنوى ... صوائب لم تشحذ

لكنها مهما رمى ... بها فليس تنفذ

فقلبه من رشقها ... كمثل جلد القنفذ

وقد رجوت والرجا ... نهجي الذي قد أحتذي

إدالتي بالقرب من ... هذا النوى المستحوذ

وبالجلال النبوي ... الهاشمي تعوذي

من أنْ يضيع لي هوى ... به فؤادي يغتذي

فيا فؤادي بالعرا ... أفعى المخافة أنبذ

وإنْ تسر للسمع من ... زمرد الدجى خذ

وأره لمقلتي ... ها كي تسيل ذي وذي

فذاك من الأفاعي من ... عوائد الزمرذ

وممّا له أيضاً رحمه الله تعالى:

يا مغرما برسول ... لم يخلق الله مثله

هذا مثال نعال ... شراكها ضم رجله

أشرف بها ثم أشرف ... نعلا تماثل نعله

فقلبن فيه مثلي ... تقبيل صب موله

لرب شاكي اشتياقي ... نال الشفاء بقبله

يا رب أشكوك شوقي ... والشوق أعضل علة

فقرب الدار ممن ... ابنت في الرسل فضله

فهو الذي بنواه ... فؤاد عبدك وله

صلى الإله عليه ... من شارع خير قبلة

وفاسخ كل حكم ... وناسخ كل ملة

ما حرك الوجد قلبا ... وأرق البعد مقلة

وممّا له أيضاً تقبل الله عمله وبلغه أمله:

انظر إلى هلال ... فاق البدور جمالا

أستغفر الله ربي ... فقد أفكت مقالا

فالحق ليس مصيبي ... وقد يصيب الهلالا

لكن حكيت نعالا ... لسيد قد تعالى

شأى النبيين جاها ... وحظوة وخلالا

فإن شكوت بشوق ... فؤادك الصب نالا

فلتلثمني فلثمي ... يشق اشتياقا توالى

نعم لثمتك شوقا ... لما حكيت النعالا

ومن يظن بنعل ... شغفت ظن المحالا

بلابس النعل همنا ... ومنه نبغي الوصالا

يا رب يشكوك قلبي ... يشكوك صادا ودالا

فقرب الدار مني ... برأت فاء وذالا

فما لأحمد ندري ... في المرسلين مثالا

هذا وإنْ كان منهم ... والكل حاز الكمالا

ففي السما نيراب ... وكلها يتلالا

وليس منها مضاه ... للشمس في النور لالا

صلى عليه إله ... به أزال الضلالا

ما لحق الجزم فعلا ... أو لزم النصب حالا

ثم سلام عبيد ... ما إنْ عن الرق حالا

يخص مولى كريما ... عم العبيد نوالا

وآله خير آل ... إنْ عدد الخلق آلا

ما أطلع الأفق شمسا ... وأنشأ الجو آلا

ومن قوله أيضاً رحمه اللّه وهي من أول ما قاله:

بكيت وقد رأيت مثال نعله ... بكاء هو عن الأحباب وله

وما حب النعال أسال دمعي ... ولكن حب من كرمت برجله

محمّدا الرفيع القدر أعني ... حبيب اللّه أحمد خير رسله

عليه السلام ذي مقة مشوق ... إليه ظل معتصما بحبله

مدى افتخرت سموات وأرض ... على حر الخدود بوطء نعله

وله رحمه اللّه قصيدة مطولة نحا منحى رائية أبي الربيع بن سالم وهي:

تبدت لنا والشوق يقدح زنده ... بقلب شج لا وجد يشبه وجده

نعال رسول اللّه أشرف بنعل من ... قد اختص بين الرسل بالسر وحده

وإلاّ تكن نعل الرسول فإنها ... مثال وكم ند يذكر نده

فيا ناظرا منها حديقا تعاهدت ... عهدا الحيا تروي رباه ووهده

فلله ما أذكى وأطيب نفحه ... إذا حركت ريح الصبابة رنده

وأطلق شوق الحب بدرا بهاره ... وشمسا تروم الغروب في الصيف ورده

على الفور قبل فيه تقبيل فاخر ... بمولى أعز اللّه في الخلق عبده

ونزه به طرفا جفا النوم جفنه ... ومرغ به خدا دم الجفن خده

فربت ذي وجد رأي أثرا لمن ... له وجده يوما فأطفأ وجده

أمولاي يا أعلى النبيين منزلا ... لدى اللّه والمختص بالفضل عنده

نداء عبيد أضرم الشوق وجده ... فباح بحب أبرم الصدق عقده

وإنْ الهوى مالم يبن لكخمرة ... بعنقود والسقط لازم زنده

بحق هواي المحض فيك الذي متى ... يقس بهوى في الدهر ألفي وحده

أنلي ما أبغيه منك وإنَّه ... زيارة قبر شرف اللّه لحده

بأشرف جثمان لأشرف روح من ... وقي اللّه مما يوهن المجد مجده

هو المجد لا مجد يماثله وهل ... يماثل صفح السيف في القطع حده

سكرت وما خمري سوى حبه ومن ... حسا خمر هذا الحب لم يخش حده

فيا طيبة الغراء أسعد منزل ... تود النجوم الزهر تنزل وهده

إلاّ فاحملي بند الفخار وحققي ... بأنك قد شرفت بالحمل بنده

ونوطي على جيد العلا عقده ترى ... مشرفة أيضاً بذلك عقده

بأعضاء مختار من الخلق مرسل ... إليهم بدين أوثق اللّه عهده

به نسخت أديان من كان قبله ... ولا دين يأتي الخلق للحشر بعده

به شاد أبراج العلا اللّه ربه ... وثل به عرش الضلال وهده

ورد به عنا الردى وهو مقبل ... وما كان لولا جاهه ليرده

رسول على الأرسال فضله الذي ... حباه بما لا يبلغ النطق عده

وإنْ كان رسل الله صلى عليهم ... وسلم ما ضد ينافر ضده

حكوا سور القرآن نورا وحكمة ... فأحمد قد أضحى من الرسل حمده

وفي الحمد ما فيها من الشرف الذي ... يبين لمهدي من الناس رشده

وحسبك أنْ يبدا ويختم قارئ ... بها وصل فرضه ثم ورده

كذلك رسول الله أول آخر ... له المنزل الأعلى الذي لن نحده

أمولاي ذا قصدي إليك وأنت من ... يبلغ ذا الشوق المبرح قصده

فيا طيب عبد واصل أرض طيبة ... يمرغ في تلك المعاهد خده

معاهد أمسى الأنس منها بظهرها ... لذي وحشة قد قرب الله بعده

وأصبح منقولا إلى بطنها فيا ... وجاهة بطن قد وعاه وسعده

سعيد صعيد منه أنشئ أحمد ... وفيه الذي أنشا به الفضل رده

فكان كمثل الورد فارق ورده ... لمنفعة ما ثم عاود ورده

أخيرا كريم ليس تطرق آفة ... فتى حبه للطارقات أعده

عليك وأنت السيد العلم الذي ... أفاد الثنا بهر السنى ومعده

بل العالم الإنسي عموما ومنهم ... خصوصا فريق أكمل الله جده

هي الأمة العليا التي هديت ومن ... أريد به خير من الخلق يهده

صلاة وتسليم ورحمة مدى انتمى ... لك الفضل يا فذلك الوجود وفرده

عديد صنوف الخلق علوا وأسفلا ... صموتا وذا نطاق جمادا وضده

ولست مجيزا أنْ أضيف إلى كذا ... بعدي فيأتي ما لساني حده

كشمس الضحى كالمسك كالقطر لم ينط ... به برقه الأفق الصقيل ورعده

أجاعل تشبيهي حقيقة التفت ... غلطت فللباب المجازي رده

فشمس الضحى المسك والقطر عابها ... أخو النقد والبرهان يعضد نقده

بكسف وإمساك وهذا دليله ... على ذاك الإيضاح لم يتعده

وتلك التي شبهتها سلمت سنى ... فجاءت كما شاء الكمال ووده

صلاة وتسليما ورحمى على الذي ... سنى وحي ذي العرش المجيد أمده

على العروة الوثقى على القمر الذي ... على الخلق ظل الأمن والحسن مده

على منقذ الإنسان من حفر الردى ... ولولا سناه كان فيها يدهده

على من له الخلق العظيم على الذي ... أبان جميع الرسل والكتب جده

على من له المجد الصميم على الذي ... به شرف الرحمن آدم جده

على أحمد المعروف في ظهر آدم ... بترديده شكر الإله وحمده

على مجتبى قد نور الله قلبه ... على مصطفى قد طهر الله برده

له المعجزات اللاء لحن لطرف من ... نفى نومه سعد وأثبت سهده

فمنها انشقاق البدر ثم نزوله ... رآه الذي التوفيق وافق رصده

ومنها حنين الجذع بالمسجد الذي ... بطيبة لما آنس الجذع فقده

ومنها طلوع القرص بعد غروبه ... وما بسوى دعوى دعاها استرده

ومنها سقوط السيف من كف غورث ... وقد كان مقدام الضلال ونجده

ومنها انفجار الماء من بين أنمل ... تقسم في ابناء آدم رفده

إلى أنْ روى منه الخميس فيا له ... خميسا أطاب الله ذو الفضل ورده

ومنها نماء التمر حتى قضى به ... ديون أبيه جابر حين جده

ومنها كلام الشاة تنهى عن أكلها ... فلم يبلغ السمام بالسم قصده

ومنها كلام الضب والجمل الذي ... شكا كده المولى قواه وجلده

وكيف مواليه يريدون نحوة ... ولما يرعوا فيه بالأمس كده

ومنها البعير المبطئ السير ساطعه ... فما وخدت من بعد ذا النجب وخده

إلى غيرها من معجزات بواهر ... فضحن عدوا باغيا رام جحده

تكاثر رمل الأرض عدا ونبتها ... وتفضل سلك الدر حسنا وعقده

وتزري سنى بالنيرين توصلا ... من الفلك المجلو بالصحو كبده

ومما به قد خصه الله رحمة ... وفضلا وفخرا قد قضى الله خلده

صحابته الغر الألي سعدوا ففي ... قلوبهم قد أسكن الله وده

هم نصروا دين الهدى بسيوفهم ... كما خذلوا نسر الضلال ووده

وأولهم سبقا وحيدهم حلى ... وأوجههم عند الإله وعنده

مقربه محبوب مصطفاه من ... جميعهم لا خلق يعلم نده

خليفته في المسلمين الذي له ... مناقب عود الطيب تنسى ونده

ميمم ضلال اليمامة غازيا ... ليروى دما قضب الحديد وملده

فما سلم الكذاب منها رئيسهم ... مسيلم خنزير الضلال وقرده

أقاويله الزورية اللاء قد دجت ... ورأس الدجى لا شك بالنور يشده

مقاتل أهل الردة الرجس الألى ... نحو سد باب حرم الله سده

أبو بكر الصديق أصدق صاحب ... وأبدلهم في نصرة الدين جهده

الموصوف بالشدة التي ... بها دينه قوي الإله وشده

.........الدهر منه بعزة ... تحل من الخطب الكريه أشده

..........................بالقنا ... مدون بالعود يظهر زهده

مواصل أسباب الهدى الندس الذي ... عن الحق ما شيء من الدهر صده

أميرهم فاروقهم عمر الذي ... مدى العمر لم يفرق من الأمر آده

وثالثهم ذو الهجرتين الفتى الذي ... شكا هجره شخص النعيم وصده

مجمع ما في الذكر من سور ومن ... متى رد داع قد دعا يرده

مجهز جيش العسرة الفاضل الذي ... تردى رداء غيره لم يرده

فذلك عثمان الشهيد بداره ... بسيف شقي في لظى يتردهه

أبو عمرو المعمور قلبا بذكر من ... له من ضروب الصخر أنطق صلده

فسبحت الحصباء من كفه كما ... أتى في حديث أكثر الناس سرده

ورابعهم من ألبسته يد العلا ... أجل قميص للعلا وأجده

ووشحه إيمانه وجنانه ... أجز حسام للطلى وأحده

تسمى لتفريق الفقار به بذي الـ ... فقار فما أفرى وأقطع حده

هو السيف لم تجل الصياقل صفحه ... ولا رقمت أيدي القوين فرنده

تزوج بنت المصطفى بكرا صداقها ... أجل صداق أحكم الحب عقده

وليس سوى الأرواح أشركن بالذي ... براهن ما أكلا وعجل نقده

ومن جنة الفردوس كان خروجه ... لهذي وتلك الدار كانت مرده

فيا عظم ما أبلى به في مواطن ... تشيب رأس الطفل لم يعد مهده

إمام همام قاسر كل قسور ... ومدركه لو كانت الريح نهده

به فتح الرحمن خيبر عنوة ... وسد به ما قبله لم يسده

وكان رسول الله قال لأعطين ... غدا راية الفتح المبين وبنده

فتى وده خلاقه وأوده ... كما ودنا والله ينصر وده

فلم يكُ يعطاها سواه كرامة ... بها اختصه من شد بالعضد عضده

وقد كان مشدود المحاجر أرمدا ... ففتح ريق المحب ما الداء سده

فهب هبوب الريح قسور جحفل ... تولى به رب البرية عضده

وبالباب باب الحصن يسراه ترست ... فلله منه قسور ما أشده

هو الآية العظمى التي طفئت به ... من الكفر ما قد أضرم الجهل وقده

ومن كان مولاه الرسول فإنه ... كذلك مولاه فطوباك عبده

أبوه الذي ربي النبي ولم يزل ... له حاميا في السر والجهر جهده

متى خاصمت فيه قريش تلقهم ... خصم اللسان الهاشمي ملده

ومن قوله فيه يعظم شأنه ... وينشر ما الرحمن أودع مجده

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال يتيم كدر اليتيم ورده

فياحسرتا إنْ مات لم يجن زهرة ... قد أبرزها الإيمان بالله وحده

ولكنها الأقدار تنفذ بالذي ... نود وقد تجري بما لن نوده

فينأى الذي أدنى ويدني الذي نأى ... وكل بعلم يجهل العبد قصده

ونجلاه سبطا المصطفى السيدان من ... بني المجد لا ضيم ينال معده

حبيباه في الدارين ريحانتاه لم ... يزل منهما يستنشق الورد ورده

وأمهما من أحمد بضعة ومن ... يكن من رسول الله جزءا يمده

أفاطم لم يبلغ نصيفك فاضل ... من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مده

فيا صاح قل لا مجد يشبه مجده ... وصوتك مهما قلت لا فلتمده

أبو الحسن الأسمي على العلا الذي ... هو البحر لم يدرك يد الجزر مده

وخامسهم بحر الندى الأسد الذي ... يبز ليوث الباس أيدا وأسده

مفدى رسول الله بالوالدين إذ ... ملا قلبه المغسول بردا وكبده

وبشر من قد حز بالسيف رأسه ... لئيم زمان كان فيه ووغده

بنار لها غيظ على كل قاتل ... فما أردى وأشأم عمده

حواريه من قد حوى زينه سني ... سنى العلم بالرحمن كان محده

أبو عابد الله الزبير الذي امتطى ... مطهمة المجد الأثيل وجرده

وسادسهم ذو الجود والسودد الذي ... يعد الصدى اللهفان للغوث عده

موقي رسول الله بالكف جودها ... يحل من العيش المهنا رغده

فشلت وقد سلت من الهند مرهفا ... محلى صقيلا أكسب الفخر هنده

فطوبى لها يمنى جنت ثمر المنى ... وقد حليت قلب النعيم وقلده

فقل طلحة ذو المجد طلح ثقاية ... لسان بيان الشرع أحكم نضده

وسابعهم ذو الفضل أقصد سالك ... أدل طريق للهدى وأسده

ومفرغ قطر الزهد يجعل بينه ... وما بين يأجوج الزخارف سده

أمير أولي الإيمان عاشرهم أبو ... عبيدة ذو الخير الذي لن نعده

وثامنهم ذو المجد في المال والتقى ... فلله ما أجدى وأبرك وجده

ملا ذكره بطن السماء وماله ... ملا بطن هذي الأرض غورا ونجدة

وكم بات لم يطعم وأطعم غيره ... وقام ولم يترك من الجوع ورده

ومعهم خير الرسل فاتح دومة ... كما ود خير المرسلين ووده

فذاك ابن عوف مقلة المجد طرفة ... أجل فتى يثني عليه ويمده

وتاسعهم ذو الرمي بالنبل والدعا ... فمن يرم من قوس وفيه يوده

له السيرة الحسنى له النجدة التي ... رمت فارس الكفر الصراح وكرده

فعوضهم من عيشهم واعتزازهم ... بموت وذل يعذب الموت عنده

فكم فرس قد راح أشهب واغتدى ... من الدم يحكي أشقر اللون ورده

وكم فارس من فارس بشماله ... عنان فقدت منه يمناه قده

فيا بن أبي العاص انك واقص ... من الكفر جيلا أوجب الله طرده

ويا سعد يا خال النبي لقد سمت ... فروع نجار ثابت كنت سعده

وعاشرهم ذو النسك كالمسك ذكره ... سعيد ولا سعد يماثل سعده

فتى المكرمات الأكارم الماجد الذي ... يزين جمع المجد طرا ووفده

سلالة زيد الفجر أرشد مهتد ... عن الشرك جد سابق قد أصده

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده.

ومما به أيضاً حبا الله أحمدا ... وعزز ذا الدين العزيز وجنده

ذوو المجد عماه وجعفر الذي ... ملائكة الرضوان وارثة لحده

فحمزة ليث الله لا ليث غابة ... يصادره إنْ هاجت الحرب جرده

له الفتكات البيض سودت العدا ... وزادت سني بدر الجهاد وأحده

وكان إذا ما قارب الطرف واستطى ... قراه بريش الرأل يعلم برده

ولا برد إلاّ نثرة عربية ... لأمثالها داود قدر سرده

فيرعد منه القرن حتى كأنما ... به نافض قد قرب الروع ورده

إلى أنْ أراد الله منه شهادة ... تبوئه عدن الجزاء وخلده

على يد أشقى الزنج رامية قدرة ... بحربته شل المهيمن زنده

فنادى الذي قد ألحف قلبه ... بأسود مما ألحف الرب جلده

بقتلك يا وحشي سامي سامها ... أصاب سواد الجلد حاما وولده

وعباس العم الأعم مكارما ... تقصر من فخر الكرام أمده

أبو الخلفا ساي المحبج أجل من ... به يصرف الصرف الجليل وينده

وجعفر الطيار ذو المشهد الذي ... ملائكة الرحمٰن غدت فيه شهده

محمرا رايات الهدى بدم العدا ... بني الأصفر الأسد الألي لم يدهدهوا

مقدم يمناه ويسراه قربة ... إلى منزل في دار عدن أعده

وأمسك بالعضدين بعدهما اللوا ... لواء الهدى يبغي من الله عضده

وبعدهم الأنصار والكل أنجم ... قد أطلعها مولاه تكلأ مجده

بهم خضد الإشراك شرقا ومغربا ... ولولاه ما كان أعوض خضده

ذوابلهم قضبان بان نواعم ... قد انبتن سوسان الحديد وورده

تصيب قلوب الشرك طعنا كأنها ... يحب القضا الجاري فتقصد قصده

وإلاّ فبين الشرك حقد وبينها ... فتطلب منه موضعا ضم حقده

وأسيافهم زرق رقاق كأنها ... نطاف بها قد عين الموت ورده

ذكور ويعروها المحيض كأنها ... إناث ولا غسل عليهن بعده

فيا معشر السادات والكل منكم ... يرى الصبر في نصر الهدى هو شهده

كأن عداة الدين زرع محطم ... توليتهم بالبيض والسمر حصده

فأقررتم عين الرسول وحسبكم ... بذا قرة تهدي إلى الطرف برده

ولله من أزواجه أمهاتنا ... فرائد علاء قد أسر بن وده

وأكرمهن الدرة الفذة التي ... بها زين المجد المؤثل عقده

خديجة ذات الجاه إنْ ينشد أمرؤ ... به الله في أمر تقبل نشده

لها الأثر المحمود والأثر التي ... متى مر عرف الطيب عنه ترده

بنو المصطفى ما دون إبراهيم الذي ... رداه رداء الصبر بالثكل قده

بنوها وكل أشمس وأهلة ... كوامل رسم الفخر حازوا وحده

وفيها رسول الله قال مكرما ... خليتها والدمع يخضل خده

إلاّ إنها كانت تزور خديجة ... ومن خلق ذي الإيمان يحفظ عهده

فبشرها جبريل عن ربها بما ... لها الله في دار النعيم أعده

وعائشة بنت الحبيب عتيق ال ... مصدق إيعاد الرسول ووعده

فريدة بسوان الوجود مناقبا ... متى يبل ذكر صالح تستجده

هليمة أهل العلم التي ... جلت سدف الجهل المضل وسده

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذي ... هو الطود لا ترقي السوابق مهده

مواصلة الأوراد والصوم دائما ... مواصلة القلب الموحد عقده

وفذة مخزوم جلالا مبلغا ... قصي المنى في المنزلين معده

وزينب ذات الطول والطول أثلا ... مواهبها تنسي الغمام وعهده

وزينب ذات الفضلى بنت خزيمة ... لقد وصلت بالجود ما البخل جده

وسودة ذات السودد العد والتقي ... متى صد عن قلب تقي لم يصدهو

وميمونة الميمونة البرة التي ... لها الفضل لم ترق الفواضل نجده

وبنت حيي ربة الصون والحيا ... صفية من أصفى لها السعد وده

ورملة رمل الأرض يمكن عده ... لنا والذي خصت به لن نعده

وجارية العليا جورية التي ... تقد سناما أختها لم تقده

هنا منتهى الأزواج والكل أشمس ... سناها أسداف الجهالة يشده

وما رئ من ترب لمارية التي ... هوها له لا صرد يشبه صرده

سرية سرياته أي منزل ... يرقى من الطود الفخاري فنده

فسرية الإنسان تسمو بمن لها ... تسري وهذا المجد تعلم جده

وإنْ لم تكن أما لنا فهي أم من ... لفقدانه أيدي حبيبك وحده

حبيبي حبيبي فطرة وشريعة ... قد احكمتا من حبل حبي مسده

مدحتك والأزواج والصحب والألي ... بقربك شهب الفخر أكروا وورده

فعاد مجلي كل فخر قدامس ... سكيتا تولى القرد بالسوط جلده

هو المدح ما كررته زاد طيبه ... فينسي مشور الأري طعما وقنده

فصله أيا فكري لعلك بالغ ... من البحر ذي الماء الروي العذب ثمده

ولازم جناب المجد ذا المجد مادحا ... ودع جانبا هند الجمال ودعده

ولا تطلبي يا نفس غير شفاعة ... ووصل كريم لا أحاذر صده

وعافية شهبانها كلما عدا ... بلاء تولت عن جنابي لهده

وقمع عداة لم يخافوا إلههم ... فباروا ذئاب الفقر ضرا وعقده

مذاهبهم ظلم العباد فإن يقل ... لهم ناصح كفوا عن الظلم يزدهوا

وعبدك بالإيثار دان فلم يكن ... ليختص دون الغير بالخير وحده

فعم بهذا الخير كل موحد ... هواك لديه علق أعده

وسلم رب العرش بدءا وعودة ... عليك أيا فذلك الوجود وفرده

سلاما أيضاً هي هدى من قد ذكرته ... وتصلية جاءت كذلك بعده

انتهى ما أردت جلبه من كلام هذا الإمام في تمثال نعل المصطفى عليه الصلاة السلام.

وقال رحمه الله أيضا:

بدت في الليل سافرة فباتت   دياجي الليل سافرة القناع
فملكت النهى وحجبت شوقي   لأجري في العفاف على طباع
كذاك الروض ما فيه لمثلي   سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات   فأتخذ الرياض من المراعي

المصادر:

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري ط.

فتح المتعال في مدح النعال للمقري ط.

السحر والشعر لإبن الخطيب ط.